التعامل السياسي: أزمتنا كإنجيليين
د. ق. مارك لابرتون، مدير كلية فولر للاهوت

ألقى د. ق. مارك لابرتون هذا الخطاب في لقاء خاص للقادة الإنجيليين عقد في كلية ويتون في شيكاغو يوم 16 أبريل 2018. وقد تم تنقيح ما يلي بناء على ملاحظاته في سبيل التوضيح وتوفير المزيد من الخلفية للمقتطفات التي نشرت في أماكن أخرى.

ما يجمعنا معاً هنا وما يبعث في داخلنا الأمل هو إنجيل يسوع المسيح. إن محبة الله العظيمة ورحمته المسكوبة لأجل العالم هما أعمق وأوسع وأقوى وأكثر حكمة من أي إمكانيات التهديد أو الخطر أو المنافسة أو الإلهاء. يشير اعترافنا المشترك بأن "يسوع هو الرب" إلى شهادة إيماننا الجوهرية، كما أنه يشير أيضًا إلى ما لا يقارن به أي شخص أو أي شيء آخر: إلى رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة وإله وأب واحد لنا جميعاً.

يجذبنا إلى هنا أيضًا حبّنا العميق وامتناننا لأسرتنا الإنجيلية. لم تكن الهوية الإنجيلية هي هوية المهد لي شخصياً، إذ عرفت المسيح في مرحلة البلوغ في حياتي. لكنني كشخص مولود ثانية في المسيح عثرت على المذهب الإنجيلي فوجدت فيه فكر متأمل مخلص وديع، وأصبح هذا الفكر هو موطن قلبي، فإنه المكان الذي نضجت فيه بالإيمان ووجدت فيه اتساع العقل والروح وحماس الإرسالية التي تهمس لي جميعاً أنني في مكاني.

إلا أن هذا اللقاء ليس مناسبة للاحتفال بالفكر الإنجيلي، وإنما ينبع هذا اللقاء من القلق والحزن والغضب والحيرة التي نشعر بها جميعاً سواء أكنّا ديمقراطيين أم جمهوريين. فقد وجد المسيحيون في كلا الحزبين أن مرشح الحزب الآخر غير مقبول على الإطلاق، مما أدى إلى انقسام عنيف، وشعر الكثيرون بأنهم محاصرون دون أي خيار حقيقي في وقت كانت فيه القضايا المطروحة معقدة ومستدعية للخوف. ليست هذه المرة الأولى أو الأخيرة التي تجمّع فيها جسد المسيح لأجل الرثاء. عندما يجتمع القادة الإنجيليون أمثالنا غالباً ما يكون ذلك بروح الأمل المتفائل، فقد اشتهرنا بالمثابرة في عمل الإنجيل. لكنني أرى أن هذا الوقت ليس وقتاً للمثابرة، بل إنني أشعر سخصياً باحتياج ملحّ للتوقف والصلاة والاستماع والاعتراف والتوبة، وأريد إن أدعوكم للمشاركة معي بهذه الأفعال.

لا أحد سوى الروح القدس الذي " يبكّت العالم على خطيّة وعلى برّ وعلى دينونة" (يوحنا 16 : 8) يستطيع أن يوصلنا إلى الوضوح في شأن الأزمة التي نواجهها. وفي أثناء سعيي لإدراك هذا التبكيت لقد وصلت إلى هذا الاقتناع: إن الأزمة الجوهرية التي تواجهنا هي أن إنجيل يسوع المسيح قد تعرض للخيانة والفضيحة من قبل حركة إنجيلية قد خالفت نزاهتها الأخلاقية والروحية.

هذه ليست أزمة مفروضة من خارج بيت الإيمان بل هي أزمة نابعة من داخله. لا يتعلق جوهر الأزمة بترامب أو هيلاري أو أوباما أو النظام الانتخابي أو كومي أو مولر أو الإجهاض أو جدالات عن المثليّة أو تعيين أعضاء المحكمة العليا، وإنما تنشأ الأزمة عن الأسلوب الضارّ الذي تعاملت به الحركة الإنجيليّة مع هذه القضايا والذي جعل من الإنجيل خبراً سارّاً مزيّفاً. والمعروض الآن أمام الجميع هو تواطؤ لا جدال فيه بين الفكر الإنجيلي الظاهر وأشكال عديدة وكامنة من التعصب العنصري وإذلال المرأة والمادّية والسيطرة السياسية. فقد نزل المطر وجاءت الأنهار وهبّت الرياح، وكما قال يسوع فإنها سوف تكشف عن أساسنا. وفي هذا الوقت من التاريخ، ما كشفته العواصف في الحركة الإنجيليّة هو أساس ليس من الصخر المتين بل من الرمل.

هذه ليست أزمة تحدث على مستوى اللغة. لا يتعلق الأمر بمن يمتلك أو يضع تعريفاً لمصطلح "الإنجيليّة"، وبما إذا كان الشخص يختار أو لا يختار أن ينضم إلى هذه الفئة. إنه من الشرعي والمهم مناقشة ما إذا كان المصطلح "إنجيلي" صالحاً للاستخدام حالياً في الولايات المتحدة للتعبير عن أي شيء غير الشخص الأبيض المحافظ دينياً وسياسياً. لكن هذه المناقشة ليست بحد ذاتها هي الأزمة. فالأزمة ليست على مستوى قاموسنا بل على مستوى حياتنا وفشلنا في تجسيد الإنجيل الذي ننادي به. قد نناقش ما إذا كان من الممكن أو من الواجب إصلاح كلمة "إنجيلي"، لكن ما يجب أن نواجهه هو الإفلاس الحالي الذي يراه الكثيرون في أسلوب الحياة الإنجيلية.

هذه ليست أزمة تظهر على مستوى الولاء الجماعي أو الطائفة أو الانتماء. إن الواقع المتنوع للحركة الإنجيلية الإمريكية يتجلى في هذه القاعة. ليس لدينا تسلسل سلطة أو قيادة أو هيكل رسمي ولا نشكّل منظمة واحدة، لكننا مفروزين ومقسّمين اليوم (إيجاباً أم سلباً) كما كنّا على معظم مسار تاريخنا. قد يرغب البعض في صنع تفرقة أكثر وضوحاً بين من يسمّون أنفسهم أصوليين ومن يسمّون أنفسهم إنجيليين، وقد نشير إلى التقاليد أو المناطق الجغرافية المختلفة لشرح أسباب انقساماتنا. هذه الاختلافات مهمة ولكنها يمكن أن تؤول بسهولة إلى الاستهداف أو اللوم، وإبعادنا عن دعوتنا بأن نشهد عن محبة الله لعالم متعدد الأوجه.

هذه ليست أزمة جديدة بل أزمة تاريخية. إننا نواجه شبحًا مريعاً يمتد ظله إلى ما قبل انتخابات عام 2016، وهو تاريخ يساعد على تحديد عمق الحزن والخوف والغضب والقلق والظلم من حولنا. إن التواطؤ الشنيع الذي نشهده حالياً ما بين الإنجيليين والسلطة الدنيوية مريب بما فيه الكفاية، لكن المؤلم والفاضح أكثر من ذلك هو حقيقة أن هذا التواطؤ هو عادتنا التاريخية كإنجيليين، فتواطؤ اليوم يرتبط بتواطؤ الماضي ترابطاً مأساويًا مذهلاً.

إلى جانب تاريخ الإخلاص للإنجيل الذي أكد عليه الإنجيليّون يوجد أيضاً تعاون دمّار مع السلطات الثقافية والعرقية المسيطرة. ورغم ثقتهم العميقة بكلمة الإنجيل، إلا أن الإنجيليّون تشبثوا منذ زمن بعيد بمصلحة ذاتية اجتماعية مدمرة تدافع عن الثقافة المهيمنة فوق وضد وصية الإنجيل لمحبة الآخر كالنفس. نحن لسنا ساذجين في فهمنا لعقيدة الخطية التي تفضّل الذات على كل شيء، لكننا قد فشلنا في إدراك خطئنا نحن في هذا المجال.

لم تؤدِّ ثقة الإنجيليين المعلنة بيسوع إلى الموت لأنفسنا لكنها أدّت في كثير من الأحيان لتبرير التأكيد على الذات، حتى عندما يعني ذلك التواطؤ في معاناة وموت الآخرين. إن الفضيحة المرتبطة اليوم بالإنجيل الإنجيلي ليست فضيحة صليب المسيح المصلوب من أجل خلاص العالم، بل هي فضيحة غطرستنا غير المعترف بها أمام الصليب، والتي تكشف عن تشامخ منافق نجازف فنربطه بالإله الذي مات لإنقاذ الضعفاء والضياع.

وفي سبيل التطبيق العملي لقد اخترت أهم أربع ساحات أرى فيها هذا الانتهاك للفضائل الروحية والأخلاقية.

الساحة الأولى هي مسألة السلطة.

اعترافنا الأساسي بأن "يسوع هو الرب" هو إقرار يتعلق بالسلطة. إن الإنجيل هو "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني" (رومية 1 : 16). هذا هو رجاؤنا وثقتنا. بما أننا نسعى لأن نحيا في ملكوت الله، فإننا نعلن أن يسوع هو الرب، وأنه يجب إعادة تصوّر كل قوة أخرى في ضوء هذا الواقع. يقول الرسول بولس "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي 2 : 8-5).

كانت للحركة الإنجيلية الأمريكية في معظم القرن الماضي علاقة معقدة مع السلطة. فمن ناحية شعرت بأنها مهمشة، مرفوضة، مهزومة، ممنوعة عن الكلام، ومن ناحية أخرى ظهرت ساعية وراء السلطة الدنيوية وحتى متغزّلة بها، فرأينا داخل الكنيسة تقليداً لأشكال السلطة الظاهرة في ثقافتنا (أتذكر أنني كنت في مؤتمر دعي به الأعضاء إلى حضور "أمسية عبادة مرصّعة بالنجوم"). لقد رقصت الحركة الإنجيلية مع القوة السياسية رقصة استمرت من وقت بيلي غراهام، إلى ما عرف بـ"الغالبية الأخلاقية" واليمين الديني، إلى حزب الشاي، إلى التصويت الإنجيلي الأبيض مؤخراً التي كانت نتيجته كما قال الرئيس الفخري لحركة لوزان، دوغلاس بيردسال، أنه عندما تبحث في غوغل عن مصطلح" إنجيلي" تظهر الإجابة "ترامب".

يشير كل هذا إلى أزمة إنجيلية حول العديد من قضايا السلطة منها العنصرية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، اليمين ضد اليسار، الجمهوريين ضد الديمقراطيين، الأغنياء ضد الفقراء، البيض ضد السود، الرجال ضد النساء، وهكذا. لكن الفوز بالسلطة كان هدف يهوذا وليس هدف يسوع. لا يمكن الدخول في تحالف بين الإنجيليين والسلطة باسم يسوع المسيح، حتى بالإدّعاء أنه لأجل الملكوت، دون انتهاك مبدأ التنازل عن السلطة المتأصل في عقيدة التجسد. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد." (يوحنا 3 : 16).

إن الإساءة في استخدام السلطة أمر محوري في المناقشات الوطنية الحالية. سواء إن تناولنا النزعة الحربية الأمريكية، أو سجن الجماهير، أو حركة MeToo# (أو سوء معاملة النساء بشكل عام)، أو قتل رجال الشرطة للشباب السود غير المسلحين، أو تصرفات ICE (هيئة الهجرة والجمارك) تجاه المهاجرين الأطفال والبالغين، أو تشريعات استخدام الأسلحة، أو سياسة الضرائب - كل هذه الأمور تتعلق بالسلطة. إن التضامن الإنجيلي الواضح مع أساليب استخدام القوة التي تسعى إلى الهيمنة والتحكم والتسلط والانتصار فوق الرحمة والعدالة تربط المسيح باستراتيجيات قيصر وليس بخبر الإنجيل السار.

الساحة الثانية هي مسألة العرق.

يرى الكتاب المقدس كل شخص على أنه إنسان بالكامل، مخلوق بإبداع على صورة الله، منسوج من الله في بطن أمه. الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، وليس فقط أولئك الذين يصلون كمهاجرين فقراء مجتهدين هاربين من العنف، أو أولئك الذين يرقدون في السجون الخاصة. الجميع أموات وفي المسيح يقومون أحياء، ودليل القيامة هو أن جماعة شعب الله المميزة تشكل إنسانية جديدة من اليهود واليونانيين، العبيد والأحرار، الذكور والإناث، وذلك شهادة للإله المُقام. هذا هو مجد الخليقة ومجد الخليقة الجديدة.

يجب علينا نحن الإنجيليين البيض الاعتراف بتداخل قصتنا مع الكثير من العنف والطغيان المتعلق بالظلم العنصري في قصتنا الأمريكية، والاعتراف بمسؤوليتنا المباشرة فيها في كثير من الأحيان. إنه لا يمكن السرد الصادق لقصص الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) أو الأمريكيين من أصول أفريقية أو جنوب أمريكية أو آسيوية ضمن تاريخ الولايات المتحدة دون تحديد دور الإنجيليين البيض الذين شهدوا لإله الفداء في ذات الوقت الذي ساهمت به اختياراتهم اللاهوتية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية

في معاناة وظلم الآخرين. كثيراً ما نجد قصص الخراب غائبة من الرواية السعيدة للإنجيليين البيض عن الحياة في أرض الموعد، أو مدفونة في قصة معقّمة تدّعي أن ظلم الماضي لا علاقة له بالأشخاص غير البيض اليوم، رغم أن تقريباً جميع الأشخاص ذوي البشرة الملونة يعانون من العنصرية ومترتباته كل يوم في جميع أنحاء البلاد، بما في ذلك الحاضرون في هذه القاعة اليوم.

إن واقع العنصرية الإنجيلية البيضاء غير المعترف به يتخلل الحياة الأمريكية، وقد أشعل النار فيها خطابنا الوطني في السنوات الأخيرة، سواء بالنسبة إلى فيرغسون، أو شارلوتسفيل، أو الدول التي اعتبرها الرئيس ترامب بلا قيمة في تسميته المهينة لها. يروي التاريخ الأبيض قصة أبطال أمريكا، فيرى التاريخ الإنجيلي الأبيض هؤلاء الأبطال على أنهم مرسلون من إله صالح وأمين. عندما يعلن بعض الإنجيليين البيض منتصرين أن لدينا الآن "أفضل رئيس في تاريخ اليمين الديني" فإن الأزمة التي تظهر لملايين الأشخاص ذوي البشرة الملونة هي ليست إدانة لرئيسنا بقدر ما هي إدانة للإنجيليين البيض وإنجيلهم العنصري.

الساحة الثالثة هي مسألة القومية.

كانت إحدى إغراءات إسرائيل الخاصة هي الافتراض أنه بكون إله إسرائيل عظيماً، فإنه يجب أن يكون شعب إسرائيل عظيماً أيضاً. لا عجب إذاً أن يذكّرهم الله بأنه "ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الربّ بكم واختاركم، لأنكم أقلّ من سائر الشعوب" (تثنية 7 : 7). تذكّرنا عظمة إله إسرائيل أن حياتنا الوطنية يجب أن لا تتمحور في عظمتها الذاتية، أو كحق لشعبها، بل أن تتأسس على الامتنان والإخلاص والتواضع أمام الله و(من العهد الجديد) على خدمة الله الذي أعطى ابنه من أجل محبته للعالم.

على النقيض المخالف تعطي القومية مكانة لنا نحن، وللتصريحات الإقليمية والوطنية بالأولوية، وللسعي وراء السلطة والنجاح والسيطرة والهيمنة، ولتشريع العنف والإصرار على النصر. تكشف لنا القومية أننا أخطأنا في الترتيب الصحيح للعبادة، فالقومية ذات الدوافع الدينية تحوّل الله إلى إله مصغّر يخضع لما نريده.

إن الكيان القومي جزء من الخريطة المتغيّرة للقوى البشرية، في عالم معقد من السياسة والاقتصاد العالمي والأديان والحروب والأسواق والعولمة. للدولة مكان شرعي في التسلسل الهرمي المسيحي لقيم الملكوت، لكنه ليس مكاناً مركزيًا أو في الدرجة الأولى وهو ليس مكانًا يحلّ مكان سلطة الله.

إن اعتناق الإنجيليين البيض لحملة تروّج بأمريكا وتعطيها الأولوية وتدافع عنها فوق كل شيء هو احتضان للوثنية التي أثبتت أنها لا تؤدي إلا لكارثة. إن احترام الدولة، وبما في ذلك الحدود والهجرة وسيادة القانون، سواء داخليا أو في ميدان الأمم، هي بالتأكيد قيم مشروعة يمكن الدفاع عنها. لكن الانخراط مع استخدام الخطاب المهين تجاه الدول الأخرى، وبالأخص دول تواجه تحديات الفقر والحرب، لا يربك فحسب بل ينتهك كرامة وقيمة وحقيقة الإنجيل، كما أنه ينتهك الشعوب التي ندّعي في أوقات أخرى أننا نراها ونخدمها ونشاركها ونحبها، وما أعجب أنها نفس الشعوب التي يرسل أليها الإنجيليون الأمريكيون ملايين الدولارات سنوياً في الإرساليات والتبشير. من الضروري بالتأكيد إجراء نقاش شرعي حول قوانين الهجرة و أساليبها، مهما كان صعباً ذلك النقاش، لكنه إن تأسس النقاش على افتراضات قومية فهو مشوه من بدايته.

قد يكون خطاب الإدارة الأمريكية الحالية مشيناً وازدرائياً واستبدادياً نحو الدول الأخرى، لكننا نحن أيضًا نعيش إنجيل الخبر السارّ المزيف عندما نتجاهل أي احتياجات أو اهتمامات تهدد مصالحنا الذاتية. في دولة تتصف بالتعددية، لا بد أن تكون المناقشات حول أمور مثل سياسة الهجرة مثيرة للجدل، مع أنها منطقية. ولكن عندما يبدو أن الإنجيليين البيض يؤيدون المصلحة الذاتية من خلال خطاب سياسي قومي مهين للآخرين، فإن اهتماماتنا الأساسية لا تعكس يسوع المسيح بل تعكس قلباً بارداً مهتماً بمصالح البيض.

يجب على شعب الله اتّباع إله يحب العدو، كما يتضح من حياة يسوع، فهذا جزء من دعوتنا إلى حياة جديدة مميزة. ولا يعني ذلك إخضاع السياسة الخارجية للدولة لهذا المبدأ، لكنه يُخضع شعب الله لمعيار أكثر شدة، مخاطباً ضميرنا فيما يتعلق بالسياسة الخارجية نحو مواطني الدول الأجنبية حتى وإن كانت عنيفة، إذ يحبهم الله كما يحبنا.

الساحة الرابعة هي مسألة الاقتصاد.

من الصعب جدا قراءة الكتاب المقدس وتجاهل قلب الله العطوف على الفقراء والضعفاء. كان شعب اسرائيل مدعو للأمانة ومن ضمن هذه الأمانة وضع الحدود على الثروة الشخصية، والادارة من اجل الصالح العام، مع إغاثة وإعالة الفقراء والغرباء والأرامل. فقبل ظهور رأسمالية السوق الحرة بوقت طويل لقد اتضح أن إله إسرائيل الذي هو الإله المعلن في يسوع المسيح هو إله ينحني نحو الرحمة والعدالة للفقراء. ولقد كانت هذه واحدة من أبرز أولويات إسرائيل وممارساتها.

تؤكد حياة يسوع هذه القضايا طوال فترة خدمته العامة. إن أخطار القوة والطمع التي تشعلها تحيزات المال والثروة تشوه حياتنا. يجب على حياة المسيحيين الأمينة في الرؤية وفي الممارسة الاقتصادية والاجتماعية أن تعكس الإله الذي يعيد ترتيب كل هذه الأمور لتحقيق مقاصد الملكوت. على الممارسات الاجتماعية للكنيسة أن تُظهر حضور الله كالنور والملح في عالم مظلم وبلا طعم.

كثيراً ما انقسم الإنجيليون الأمريكيون حول أهمية الحياة الأرضية، وفي بعض الأحيان يفهمون الدهر الأخروي بطرق تهمّش أهمية الاقتصاد أو العرق. إلا أن نعمة قلب الله وكرمه يجب أن تكون مرئية بنفس النعمة والكرم التي نتذوقها في مائدتنا المشتركة والتي تُظهرها نحو قريبنا.

عندما يتحدث الإنجيليون البيض في الأماكن البارزة والثرية عن ما هو عادل ومفيد للمجتمع، ثم يشرعون قوانيناً وتغييرات في الضرائب تخلق المزيد من الديون الدولية وترفع أعلى 1 ٪ من السكان إلى ما هو أعلى من ذلك مع تخفيض الخدمات والإعالة للأطفال والمعوقين والفقراء (والتي تنتقد على أنها "استحقاقات" مثيرة للاشمئزاز)، فعلينا أن نسأل كيف يتوافق هذا مع كونهم أتباع يسوع. من المؤكد أنه لا بد من مناقشة تفاصيل الدعم الاجتماعي للفئات الضعيفة في مجتمعنا، ولكن عندما يقوم محرضو التغيير بخدمة مصالح النخبة وتجاهل 99٪ من السكان فإنه يصعب تمييز آثار قصة الإنجيل التي يجب أن تظهر في الشفقة، ما بال العدالة.

إن استيعاب كل هذا يجبرني على الركوع معترفاً، واثقاً " أنّ الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمّل إلى يوم يسوع المسيح" (فيلبي 1 : 6). رغم أنني أود أن أعتقد أن كل هذا لا علاقة له بي أو بوجهة نظري الإنجيلية، إلا أنني أعرف أنني من المذنبين. إن تجسيد حياة الإنجيل بشكل سيء هي دينونة تلتصق بي أكثر مما أستطيع رؤيته أو معرفته، ولها مترتبات خطيرة في مجال رئاستي لكلية لاهوت إنجيلية مرموقة، وهي كلية شديدة التنوع عرقياً ومع ذلك يغلب عليها ثقافة البيض (على الأقل في المستويات العليا من القيادة)، ويمثل طلابها 70 دولة ولكنها لا تزال موجهة في الغالب نحو العالم الغربي، وتؤيد بقوة قياده وخدمة المرأة لكنها تقصر في تعضيد صوتها.

ما يجلب لي الأمل هو شيء مسجل في نهاية إنجيل متى. يتضمن متى إصحاح 28 المأمورية العظمى التي هي الدعوة العليا لهويتنا الإنجيلية، ولكن نادراً ما نلاحظ الجملة التي تسبق المأمورية العظمى نفسها. يقول النص ببساطة: "وأمّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولمّا رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكّوا." لقد أعطى يسوع المأمورة العظمى لعدد أقل من العدد الكامل 12، كما كانوا مؤمنين غير متأكدين ومعهم متشككين. منذ البداية نرى يسوع يدعو المؤمنين مع المتشككين إلى المهمة، فربما لايزال قادرا على استخدامنا نحن الإنجيليين الأمريكيين أيضاً. فبدلاً من اتخاذ موقف دفاعي، لنأخذ موقف التوبة والتفاؤل بأن الله سوف يجعلنا بعد أتباعاً حقيقيين لـ "الإنجيل" الذي هو في قلب لقبنا. إن المهمة الإنجيلية هي مهمة الله من البداية إلى النهاية.

يجمعنا الرب يسوع المسيح هنا من أجل العمل الحقيقي، فليكن هذا العمل عمل نعمة ينقلنا إلى التوبة و يقودنا إلى التغيير الشخصي والنظامي ويحرّكنا نحو عمق أكبر في حياة الله وقلبه.